الإحالة والتفاف النص حول ذاته

مقاربة نصية لقصيدة الخطوة الأولى للشاعر فاتح علاق

"Reference and text "self- winding

A textual approach to the poem of Fateh ALLAG: «The first step» Al (khotwa al oula

مفتاح بخوش

جامعة المدية /يحي فارس

meftahe@gmail.com

تاريخ الإرسال:2018\04\29	تاريخ القبول:2020\04\15	تاريخ النشر: جويلية 2020

الملخص: ينبني هذا المقال على مدار تحليلي يرصد الإطار العام للبنية النسيجية في قصيدة الخطوة الأولى للشاعر فاتح علاق[1]، وفيه تتم معالجة فاعلية عنصر الإحالة في تحقيق التفاف النص حول ذاته، حيث يصبح يتجلى الإنسجام في القصيدة أكثر مرونة والاكثر قربا من المحلل الذي له أن يرصد الاهمية القصوى والمحورية لعلاقات الترادف والتكرار المعجمي في تنشيط حركة إلتفاف المقاطع المكونة للنص بالنص القاعدي، وكما يمكن له أيضا في هضم الطبيعة التوائمية لمقترحات فان ديك في باب علاقات الانسجام[2] وإجراءات التحليل المعجمي المقترحة من طرف هاليداي وحسن[3] في تفكيك جانب التركب النصي وتفسير منحاه الدلالي.

الكلمات المفتاحية: البنية النسيجية، الإنسجام، الإحالة، الترادف، التكرار المعجمي.

Abstract : This paper is based on an analytic approach that follows the general framework of textural structure in the poem of Fateh ALLAG «the first in text self- winding, "reference"step» (al khotwa al oula). It treats the role of where the coherence appears more flexible and closer to the analyst who looks for the great importance of synonymic relations and lexical recurrence in the activation of interaction between the sequences of the text and the text itself. The analyst can also assimilate the harmonious nature between Dyck's proposals concerning the coherent relations and the lexical analysis procedures proposed by Halliday and Hassan in the deconstruction of the structure of the text and the interpretation of its semantic dimensions.

Key terms: **reference, coherence, texture, text, synonymic relations, lexical recurrence.**

يوصف تحليل الانسجام بأنّه عبارة عن استراتجية قائمة على تأويل الجمل والقضايا في وضع تعالقها ببقية الجمل أو القضايا، ضمن مجال تعالقي يقوم على رصد مختلف العلاقات الظاهر والباطنة التي تحكم هذه القضايا، ولما كانت النصوص في طبيعتها منظور لها على أنّها وحدة دلالية مرتبطة بالسياق، فإنّ الإجراء اللساني وإن ظلّ المدخل الانجع في ضبط انسجامها سيظل ناقصا مالم يزاوج بما يمكن أن يقوم به المتلقي من عمليات في استخراج المعنى، انطلاقا من تفاعله مع النص، وهذا ما سنحاول التعريج عليه في تحليلنا لقصيدة الخطوة الأولى للشاعر فاتح علاّق التي اقتطفناه من ديوانه آيات من كتاب السهو ، حيث سنقاربها من جهتين:

جهة الأولى وتخص تفاعل العناصر النصية في ضبط سيرورة النص الدلالية، وجهة الثانية وتخص المتلقي في تفاعله مع هذه العناصر.

أولا:الإحالة والتفاف النص حول ذاته

من المسلم به أن النصوص في طبيعتها مهما تعدّدت فإنّها لا تخلو من أي رابط إحالي، يعنى بوظيفة ربط أجزائها المتقاربة والمتباعدة في الآن ذاته مما يسهم في خلقها وحدة كلية مترابطة الأجزاء ومن هنا فاختصاص الدراسة النصية بجزء منها للروابط الإحالية له ما يبرّره من الناحية العلمية شريطة أن يتجاوز الوجه الإحصائي إلى الوصفي التحليلي، حيث يتجلى الدور الإحالي في رسم النسيج الذي ينبني عبره النص، على أن المحلّل « لايذهب إلى عالم النص وهو عبارة عن صحيفة بيضاء، وإنّما تكون له معلومات مختزنة في ذاكرته تسمح له بالتعميم، اعتمادا على مبدأ النظر كما تسمح له بإعادة الرأي في قياسه، وتصحيح بعض أجزائه[4] من هذا الإطار نأتي إلى ما أشرنا إليه سابقا في المهاد النظري من انقسام الإحالة على نفسها على قسمين «نصية ومقامية» لنضيف أن هذا التقسيم ينطلق من زاوية النظر إلى العناصر الإشارية التي تتخذ لنفسها قسمين اثنين نعرض لهما في الشكل الآتي:

إحالة نصية ⟵ عنصر إشاري نصي
إحالة مقامية ⟵ عنصر إشاري مقامي

مبدئيا نحاول التركيز على العنصر الأول لما له من دور أساسي في اتساق النص لارتباطه بالعناصر الإشارية النصية التي تعتبر اللبنات الأساسية في أي نص، فلا يقوم عامل إحالي إلا بما تقدّمه من له من تفسير يهب له معناه .

1.الحقل الإشاري

تعتبر العناصر الإشارية النواة الأساسية التي تجمع عددا من الإحالات النصية، مشكلة بها مقطعا نصيا، أو فقرة، أو نصًا، وينجم عن تعدّدها تعدد في المقاطع النصية، الفقرات، أو النصوص ممايدفع المحلل في وجهة البحث عن الوجه الذي تترابط عليه مشكلة بذلك نصا، خطابا. بيد أنّه في هذا المقام تجدر الإشارة إلى أن الآلية اللسانية قد لاتسعف المحلل في الربط بين معاني النصوص المشتتة، والمبعثرة الخارقة لكل الأعراف اللغوية المتعارفة . وحينئذ فانه لا يبقى مكتوف الأيدي وإنما يلجأ إلى تقنية الاستنباط بنوعية المهيمن ليملأ الثغرات الموجودة في النص»[5]

2.العناصر الإحالية

تفضي القراءة الإحصائية لقصيدة الخطوة الأولى إلى وجود حوالي «47» حالة إحالية نصية، تشكل الإحالة الضميرية القبلية «38» حالة والإحالة التكرارية بـ: «7» حالات والإحالة الإشارية البعدية بحالتين تتوزع على مجموعة من العناصر الإشارية التي ينبني عليها النسيج النصي مثلما يتضح في الجدول أسفله:

نرمز لـ: إحالة إشارية بعدية بـ:: إ.إ.ب

نرمز لـ: إحالة ضميرية قبلية بـ:: إ.ض.ق

نرمز لـ: إحالة ضميرية بعدية بـ:: إ.ض.ب

نرمز لـ: إحالة التكرارية بـ:: إ.ت

السطر	العنصر الإحالي	العنصر الإشاري	نوع الإحالة	المسافة بالسطر
	هذا	الجسم أجزاء مبعثرة	إ.إ.ب	0
	تكسرت «هي»	رأسي	إ.ض.ق	0
	فارقت «هي»	عيني	إ.ض.ق	0
	تفتش «هي»	يدي	إ.ض.ق	0
	يجمع «هو»	بيت	إ.ض.ق	0
	يوصلني «هو»	درب	إ.ض.ق	0
	يعبر «هو»	جسر	إ.ض.ق	0
	المفتول «هو»	الساعد	إ.ض.ق	0
	يخاصر «هو»	الساعد	إ.ض.ق	1
	أناديه «هو»	الساعد	إ.ض.ق	2
	ينكرني «هو»	الساعد	إ.ض.ق	2
	اطلبه «هو»	الساعد	إ.ض.ق	3

لا يأتي «هو»	الساعد	إ.ض.ق	3
ليسندني «هو»	الساعد	إ.ض.ق	3
قلبي	قلبي	إ.تكرارية	11
طائره «هو»	قلبي	إ.ض.ق	0
أناديه فينكرني	أناديه فينكرني	إ.تكرارية	3
أناديه «هو»	قلبي	إ.ض.ق	1
فينكرني «هو»	قلبي	إ.ض.ق	1
أطلبه «هو»	قلبي	إ.ض.ق	2
يقصيني «هو»	قلبي	إ.ض.ق	2
الرأس	رأسي	إ.تكرارية	15
نائمة «هي»	الرأس	إ.ض.ق	0
أناديها «هي»	الرأس	إ.ض.ق	2
تنثرني «هي»	الرأس	إ.ض.ق	2
تنفيني «هي»	الرأس	إ.ض.ق	3
بح «هو»	ندائي	إ.ض.ق	0
هذا	الصمت	إ.إ.ب	0
غيبني «هو»	الصمت	إ.ض.ق	0
تنكر «هي»	الكتف	إ.ض.ق	0
رأسها «هي»	الكتف	إ.ض.ق	0
القلب	قلبي	إ.تكرارية	11
برفض «هو»	القلب	إ.ض.ق	0
صدره «هو»	القلب	إ.ض.ق	0
الرجل	الرجل	إ.تكرارية	21
تنكر «هي»	الرجل	إ.ض.ق	0
أختها «هي»	الرجل	إ.ض.ق	0
يجهل «هو»	الكل	إ.ض.ق	0
سره «هو»	الكل	إ.ض.ق	0
من أين أبدأ خطوتي الأولى	من أين أبدأ خطوتي الأولى	إ.تكرارية	28
جسدي	جسدي	إ.تكرارية	20
أجمعه «هو»	جسدي	إ.ض.ق	1

	أصحبه «هو»	جسدي	إ.ض.ق	1
	تبصر «هي»	نفسي	إ.ض.ق	1
	وجهها «هي»	نفسي	إ.ض.ق	1
	فيه «هو»	جسدي	إ.ض.ق	2
	يومها	من أين أبدأ خطوتي الأولى إلى جسدي لأجمعه وأصحبه إلى نفسي فتبصر وجهها فيه	إ.ض.ق	1

لعله من البديهي جدا أن يتساءل القارئ عن الفائدة المرجوة من عمل كهذا فالإحالات الضميرية القبلية وإن كثرت فلا يبدو أنّها جعلتنا نقبل بأنّ القصيدة متسقة مما ينجم عنه انتفاء وجه الانسجام عنها كما أنّ العلاقة بين مختلف العناصر الإشارية وإن كانت قائمة، فإن بعضها يفتقر للحضور الشكلي لأدوات الربط وهو أمر يزج بالمحلل إلى إبداء من الشكوك ما يتضمن التساؤل إن كان أمام نص أم مجموعة نصوص أم مقاطع نصية وهو تساؤل يستمد شرعيته مما أشرنا إليه سابقا من أن العناصر الإشارية تعد النوى التي تجمع عددا من إحالات النص بوصفه كلا إحاليا، وإزاء هذه الحال فإن المحلل مطالب بالكشف عن الوجه الذي تتعلق عليه النوى الأساسية وقبل معالجة هذا تجدر الإشارة إلى جملة من الملاحظات إزاء الجدول أعلاه هي:

– إن وظيفة الإحالة الضميرية القبلية لم تتجاوز حدود ربط عناصر الجملة الشعرية الواحدة وأقرب مسافة هي السطر نفسه وأبعد مسافة هي ثلاثة أسطر.

– إن الإحالة التكرارية هي من ربط المقاطع النصية بعضها ببعض وأقرب مسافة هي ثلاثة أسطر وأبعد مسافة هي ثمانية وعشرون سطرا.

– إن الإحالة الإشارية البعدية لم تتجاوز في تعيينها العنصر الإشاري حدود السطر، أو الجملة الشعرية إلى مجال إحالي آخر يقع في ثنايا النص.

– وعليه فإنه لابد من العودة إلى القصيدة ولكن من منطلق البحث عن المؤشرات التي قد ينم بعضها عن شيء من المرونة تسمح بالدخول إلى عالم النص وليكن السطر الأول

من أين أبدأ خطوتي الأولى

إنّ التأمل في هذه الجملة ليحمل القارئ على حالة من الارتباك إزاءها، ذلك أن تناولها تتجاذبه قراءاتان، إنشائية تقدره استفهاما، وإخبارية تقدره جوابا لسؤال عميق كأن يكون «**أين تبدأ التنفيذ؟**» غير أن هذا التخمين سرعان ما يتلاشى حين ننتقل إلى السطر الثاني الذي ارتبط بها لتصير الجملة كلها عرضا حاليا لا سياقا استفهاميا، يحيل إلى الاعتقاد بأن مجيء علامة الاستفهام في نهاية السطر الثاني أمر قد لا يجعلنا نقبل العبارة على هذا النحو مما يوحي باعتقاد ما تدعمه النظرة الكلية للنص يقوم على القول بأن ما

تضمنته القصيدة لم يقصده الشاعر فقد وقع التجوز عليه طباعة ولتوضيح ذلك نحاول ربط العبارة بالسياق الإحالي[6] الذي وردت فيه فيصير لدينا:

سطر1: من أين أبدأ خطوتي الأولى؟ ← مفسر

↑ إحالة تكرارية

سطر29: من أين أبدأ خطوتي الأولى إلى جسدي ← عنصر

3.السياق الإحالي للنص القاعدي

من خلال الشكل السابق يظهر أن الشاعر قد حدّد وجهة خطابه منذ البداية، ولم يشأ التصريح بها لتوقع قبلي بعدم وجود الظروف الملائمة التي تجعلنا نقبل مايريد الإعلان عنه فقدم الجملة الأولى على سبيل استثارة القارئ ليتبعها بسلسلة من النصوص الفرعية الصغرى قصدا منه في تهيئة المقام الإخباري لدى المتلقي – شريك الشاعر – لتقبل الوقائع النصية، أو بحثا في سبل قبولها ضمن مساق إجرائي خاضع لسلطة الشاعر ووعيه في ترتيب الوقائع النصية وفي كيفية توظيف بعضها في خدمة البعض كما يتضح ذلك في سطر32 «**وأعلن يومها عرسي**» فالهاء في «يومها» إحالة ضميرية قبلية تحيل على المقطع النصي الرابع المكون من الأسطر «29، 30، 31» وبتعيينها العنصر الإشاري تكون قد أشرت على ما هو أبعد من ذلك من حيث أنها ربطت آخر القصيدة بأولها ليكون الشاعر قد حدد وجهة خطابه من خلال تحديده للنص القاعدي المنفتح على مجموعة من النصوص الفرعية الصغرى والمتآلفة معه في خدمة مقصدية محددة سلفا. وفي مايلي نحاول التمثيل لما أشرنا إليه سابقا أو ماسندعوه بالسياق الإحالي للنص القاعدي .حيث يظهر المجال الدائري المهيأ لاستيعاب العبارات المعدة سلفا في إطار خطة محددة قائمة على التعبير عن مقاصد الشاعر.

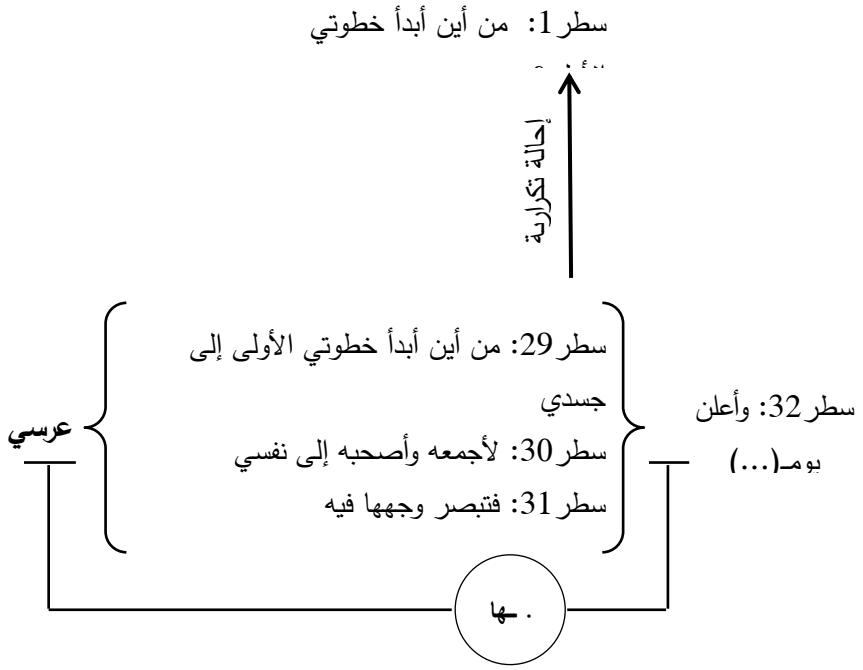

إنّ التأمل في الشكل السابق سيثير تساؤلات عن الكيفية التي ارتبط بها النص القاعدي بالنصوص الفرعية وهو تساؤل لا يبدو أن الواو الحالية كفيلة بتبريره، ثم الإحالات الضميرية التي كان من الممكن أن تلعب دورا أساسيا أثبتت القراءة الإحصائية محدوديتها إذ يوجد الكثير من التقطعات في جسد النص يحتاج تأويلها إلى الكثير من الجهد وهذا ما سنأتي إليه في مقام آخر، لأن الدواعي المنهجية تقتضي تركيزنا على الإحالة النصية، من خلال دورها في التفاف النص حول نفسه، والتي اتضح أن التركيز عليها وحدها لم يسعفنا في حل إشكال.الانسجام في القصيدة.

ثانيا:علاقات الانسجام

تحليل الانسجام عبارة عن استراتيجية قائمة على تأويل الجمل أو القضايا في وضع تعالقها ببقية الجمل أو القضايا ضمن مجال عملي يقوم على رصد لمختلف العلاقات الظاهرة والباطنة التي تحكم هذه القضايا كالعموم والخصوص وعلاقات التضمين والمطابقة والتقابل والتكرار وإلى آخر ذلك من العلاقات التي تشكل حضورا واضحا في قصيدة الخطوة الأولى كما نأتي عليه في تحليلنا للعناصر التالية.

1.تفاعلات النص

تم في خطوة سابقة – الإحالة والتفاف النص حول نفسه – تناول قصيدة الخطوة الأولى تناولا يبرز دور الإحالة النصية في تحديد ما أسميناه بالنص القاعدي الذي تقوم بجواره مجموعة من النصوص الفرعية أو المقاطع النصية القائمة على وجه من التشتت المستغرق وهذا راجع إلى زاوية النظر المقتصرة على الإحالة فقط، إذ لم يكن بمقدورنا الالتفات إلى ماسواها من الزوايا التي يمكن لها أن تمدنا بالأدوات لتشييد انسجام القصيدة من خلال التبرير المنطقي لمختلف التتابعات الجملية من جهة، والطبيعة التجاورية التي

تحكم النص القاعدي المكون من الأسطر «1، 29، 30، 31، 32»بالنصوص الفرعية أو المقاطع النصية من جهة أخرى.

من المنطقي ارتباط النص القاعدي ببقية النص إنما يقوم على العلاقة الاستلزامية بين القضيتين التاليتين

من أين أبدا خطوتي الأولى	و	هذا الجسم أجزاء مبعثرة على الدرب
قضية 1	رابط	قضية 2

حيث يتضح بشكل من الأشكال أن القيم المحصلة من القضية الأولى هي قيم مقبولة على سبيل وجود مايبررها من جهة المنطق، على مستوى النص فالحيرة والتساؤل والتيه إنما هي قيم ناتجة عن العجز أوالوهن أو الضعف أو العياء أو الموت أو، التفكك الذي لحق الجسم فصيره أجزاء مبعثرة على الدرب.

وإذا كانت القضية الأولى ارتبطت بما يليها من جهة المنطق، فإنها بهذا الارتباط تكون قد أشرت على تعالق النص القاعدي بمن سواه على اعتبار أن القضية الثانية تمثل نصا فرعيا من زاوية النظر إلى النص القاعدي ونصا محوريا من زاوية النظر إلى بقية أسطر القصيدة التي تنتظم في عدد من المقاطع النصية المنسجمة على المستوى المقطعي والمستندة إلى عدد من العلاقات المخصوصة التي تربطها بالنص المحوري، ولتوضيح ما سبق نحاول تقسيم النص وفق ما يقتضيه الطابع العلائقي المهيمن على هذا المقطع أو ذاك كما يتضح في العناصر الموالية.

2.تقسيم النص

-**.نص قاعدي:** ويتكون من الأسطر «1، 29، 30، 31، 32» وقد سبق الحديث عنه في عنصر السياق الإحالي للنص القاعدي.

-**.نص فرعي:** ويتمثل في السطر «2» وكما سبقت الإشارة إليه في الجدول الإحصائي الوارد في عنصر علاقات الاتساق هو أنه يتركب من عنصر إحالي يتمثل في اسم الإشارة «**هذا**» والعنصر الإشاري النصي الكامن في مساق « **الجسم أجزاء مبعثرة على الدرب**» المتضمنة مجمل ما يريد الشاعر التفصيل فيه في المقاطع النصية التي نتعرض لها وصفا في ما يلي:

-**.مقطع نصي أول:** ويشكل وحدة صغرى تتكون من الأسطر «3، 4، 5، 6» تقوم على اتساقها عناصر إحالية وعنصر الوصل المتمثل في الواو، هذا من الناحية التركيبية، أما الناحية المعجمية فيظهر قيام الوحدة على علاقة التكرارا بين «**الرأس، العين، يدي، الرجل**» وهي كلها عناصر مرتبطة بالذات المتكلمة «**مركز المقام الإشاري**».

-**.مقطع نصي ثان:** ويتكون من الأسطر: «7، 8، 9، 10»، ويشكل وحدة عن طريق:

-.**الحذف:** يظهر تعالق أسطر المقطع فيما بينها عن طريق عنصر الحذف المتعلق بظرف الزمان «بعد الآن» الورد صراحة في السطر «7» والمستتر في الأسطر «8، 9، 10»

-.**الترادف وشبه الترادف:**

ويظهر قيام ترابط المقطع النصي على علاقة الترادف بين اللفظتين: «بيت، كوخ» اللتين وردتا في سطرين متتابعين مما مكن لهما خلق وقعا لترابطهما وكذلك علاقة شبه الترادف المتمثلة في اللفظتين: «درب وجسر» الواردتين في السطرين: «9 و10».

-.**التوازي:**حيث تقوم وحدة المقطع على عنصر التوازي غير التام الظاهر فيما يلي:

لا بيت «بعد الآن» ⟵ يجمع قامتي
لا بيت «.....» ⟵ .من قصب
لابيت «.....» ⟵ يوصلني
لابيت «.....» ⟵ يعبر بي

-.**الالتفاف:** يظهر الالتفاف حول الذات المتكلمة في: «**قامتي، جسدي**».

-.**مقطع نصي ثالث:** ويتركب من ثلاث مقاطع نصية صغرى، يتألف الأول منها من الأسطر «11، 12، 13، 14، 15» والثاني من الأسطر «15، 16، 17، 18» والثالث من الأسطر «18، 19، 20، 21» ولا يخفى على القارئ أن هذه المقاطع ملتفة بواسطة عامل الإحالة حول ثلاثة عناصر إشارية رئيسية هي «**الساعد، القلب، الرأس**» ومترابطة فيما بينها بواسطة أداة العطف الظاهرة في بداية السطر «15» والسطر «18» حيث يظهر انتماء السطرين إلى ما سبقهما من جهة الوصل وإلى ما يليهما من جهة الإحالة.

-.**مقطع نصي رابع:** ويتكون من السطرين: «22، 23» بينهما وصل.

-.**مقطع نصي خامس:** ويتكون من الأسطر «24، 25، 26، 27، 28»، يمثل السطر «24» مجمل ما تم التفصيل فيه في الأسطر الأربعة المترابطة فيما بينها بواسطة عنصر التوازي التام كما يظهر في الآتي:

سطر: «25+26»	الكتف تنكر رأسها	+	والقلب يرفض صدره
سطر: «27+28»	الرجل تنكر أختها	+	والكل يجهل سره

3.الكلمات المحاور

وإذا كانت النصوص الفرعية قد كشفت عن تماسكها لما تشتمل عليه من عناصر إحالية ومعجمية وروابط أو من ظواهر تركيبية كالتوازي فإنها على مستوى القصيدة تحتاج إلى معالجة تستهدف الكشف عن الطبيعة العلائقية التي تقوم على تجاور المقاطع النصية بالنص المحوري وهنا نأتي إلى القول بأن القارئ البسيط سيرتد إليه صدى بعض الوحدات المعجمية التي تؤشر من موقعها النصي على بعض المناحي التأويلية التي قد يقود البحث فيها إلى جهة الكشف عن انسجام القصيدة، ونخص هنا الألفاظ التالية: «**أجزاء، قامتي، جسدي، الساعد، قلبي، الرأس، الصمت، أجزاء**» الواردة على التوالي في الأسطر «2، 7، 9، 11، 15، 18، 23، 24» وهي كما نلاحظ تتوزع على مختلف الشرائح النصية «**النص المحوري/ الفرعي**» و«**المقاطع النصية البسيطة والمركبة**»، من جهة ومن جهة أخرى تقيم فيما بينها عدد من العلاقات المختلفة التي تستوجب متابعتها إجراء أساسيا يتمثل في تحديد الزاوية التي يمكن من خلالها إنجاز هذا التحليل.

ولما كان مدار هذه المعالجة يدور حول تعالقات النص المحوري، القاعدي مع مختلف المقاطع النصية، فإن اللفظة الأصلح لان تكون معبرا لهذه المعالجة هي «**أجزاء**» الواردة في النص المحوري وتحل في ما سواها من الألفاظ المذكورة سابقا بواسطة مجموعة من العلاقات الذهنية المنظور إليها من جهة المعنى كما يحيل على ذلك السياق النصي ومما لاشك فيه أن القارئ المتتبع لمسار هذه لمعالجة سترتد إليه وجهتنا فيما يمكن أن نذهب إليه بالقول من أن تعالق النص المحوري مع سواه من المقاطع النصية إنما يقوم على تعالق «**أجزاء**» – الكلمة المحورية التي ينبني عليها – بما سواها من الكلمات المحاور في المقاطع النصية وقد سبقت الإشارة إليه في الفقرة السابقة من أن هذه الوحدات تؤشر على بعض المناحي التأويلية التي قد يقود البحث فيها إلى تشييد تصور لانسجام القصيدة وهذا ما سنأتي عليه في العنصر الموالي.من خلال الكشف عن طبيعة العلاقات.

4.العلاقة بين الكلمات المحاور

لعل التأمل في العناصر السابقة ليجيل غلى أن معالجة الانسجام، يجب أن تتم عبر مستويين اثنين الأول مقطعي يبحث في انسجام المقاطع كل على حدة، كما يظهر في سياق عرضنا للشرائح النصية التي تتركب منها القصيدة، والثاني كلي يبحث في الكيفية التي تتركب بها هذه الشرائح محققة بذلك وحدة بطريق الانسجام، وقد تمت الإشارة إلى لفظة «**أجزاء**» على أنها تحل في سواها من الألفاظ بواسطة مجموعة من العلاقات الذهنية التي يتضمن تحديدها إنجازا لانسجام القصيدة في المستوى الكلي النصي كما يظهر في ما يلي:.

-.الإجمال والتفصيل

يظهر ترابط النص المحوري بالمقطع النصي الأول بمقتضى تفصيلي قائم على علاقة «**الكل – جزء**» الكامنة في علاقة الجسم بـ: «**الرأس، العين، القلب، اليد، الرجل**»، وهي عناصر وإن ارتبطت فيما

بينها عن طريق علاقة التكرار من جهة المعجم فإن الإطار المعرفي الضامن لاشتغال هذه العلاقة هو «**الجسم**» بوضعه المستقر في اللغة الطبيعية المتسم بالديناميكية وهذا بخلاف ما هو عليه في السياق النصي حيث بني على مفهوم جديد يجرده من مميزاته الطبيعة اللصيقة به ويحدده على أنه أجزاء أومايمكن أنه يرتسم في الذهن من مفاهيم دالة على التجزؤ والتشتت و التقطع وعلى أساس ذلك تتأتى مقبوليتنا لما نفهمه من مدلول كلمة جسم . أو كلمة أجزاء وما يحيط بها من مميزات يمكن أن تحيل عليها عبارة «**مشتتة على الدرب**» وإزاء هذا الإجراء يتحول فهمنا للعلاقة بين النص المحوري والمقطع النصي الأول، من جهة الكل جزء المتحققة في سياق اللغة الطبيعية العام إلى الإجمال والتفصيل في السياق النصي الخاص فقد أورد الشاعر عبارة أجزاء مبعثرة على الدرب مجملة ليتبعها بتفصيل في الذوات والأحداث المقترنة بها وينسحب فهمنا هذا على المقطع النصي الثالث، وهو كما تمت الإشارة إليه مقطعا مركبا من ثلاث مقاطع نصية صغرى مبنية على ثلاثة عناصر إشارية «**الساعد، قلبي، والرأس**» خاضعة لسلطة تفصيل ما أجمله الشاعر

-.الترادف

يرتبط النص المحوري بالمقطع النصي الثاني بمقتضى علاقة الترادف القائمة بين الوحدة المعجمية الرئيسية «**أجزاء**» والكلمتين المحوريتين «**قامتي – جسدي**» المختلفتين من جهة الدال والمشتركتين في المدلول الذي هو عبارة عن «**أجزاء مبعثرة على الدرب**» هذا من جهة ومن جهة أخرى يظهر ارتباطه بالمقطع النصي الرابع من جهة الاقتضاء لما يمكن أن نحصله من عبارة «**الجسم أجزاء مبعثرة على الدرب**» بواسطة المقابلة بين **مخططين ذهنيين scenarios** على خلفية الاعتقاد أن أي معطى نصي مقطعيا كان، أم جزئيا لابد أن يكون في كله جزءا لعناصر محددة من المخطط الذهني العام الذي يشمل المعلن وغير المعلن عنه في النص أو مايصطلح عليه في تحليل الخطاب، بـ: «**المجال المرجعي الموسع. الذي نعود إليه في تأويل النصوص المكتوبة اذ نستطيع أن ننظر إلى معرفتنا بالظروف المحيطة والمواقف على أنها تمثل المخطط الذهني الذي يكمن وراء تأويلنا للنص**»[7] وفي ضوء هذا يتعلق تنشيطنا للمخطط الأول بالجسم وما يمكن إن ينطوي تحته من مفاهيم كالحياة والحركة والكلام أما الثاني فيتعلق بمخطط أجزاء وما ينطوي تحته من مفاهيم كالتمزق التشتت الموت الصمت وإزاء هذه الحال لا يخفى على القارئ أن المفاهيم المحصلة من المخطط الذهني الثاني إنما تتأسس على جهة التقابل مع المفاهيم المحصلة من المخطط الأول، فـ «**الجسم**» بمقابلة «**الأجزاء**» و«**الحياة**» بمقابلة «**الموت**» و«**الحركة**» بمقابلة «**الجمود**» و«**الكلام**» بمقابل «**الصمت**» وهنا يتجلى لنا قيام التعالق بين الأجزاء والصمت بمقتضى الترادف ولعل يدعم هذا التأويل جانب التعيين الإشاري الكامن وراء اسم الإشارة «**هذا**» والمحيل من موقعه النصي على المقام مباشرة حيث يدور التداعي حول هذا الموات الناتج عن التجزؤ الذي لحق الجسم أو الصمت الذي صار إليه.ومن جهة أخرى يظهر ارتباط النص المحوري، القاعدي بموجب علاقة الترادف بين كلمة «**أجزاء**» وكلمة «**جسدي**» الواردة في السطر 29.

-.التكرار:

يتعالق النص المحوري بالمقطع النصي الخامس بموجب علاقة التكرار التي تشمل كلمة «أجزاء» وهنا تنبغي الإشارة إلى أن البنية التكرارية تقوم على عنصرين أساسيين الأول معجمي وهو قائم على المطابقة الشكلية والثاني وظيفي يتمثل في كون اللفظتين جاءتا مجملتين متبوعتين بالتفصيل في الذوات والأحداث وإذا كانت الأحداث في التفصيل الأول مختلفة عن الأحداث في التفصيل الثاني، فإنّ الذوات بعضها مكرر، والبعض الآخر قائم على الوجود في إحدى الجهتين . وفي هذا وذاك تتبلور رؤيا لانسجام المقطعين في ثوبها التكراراي من جهة المعجم.

5.التمثيل البياني:

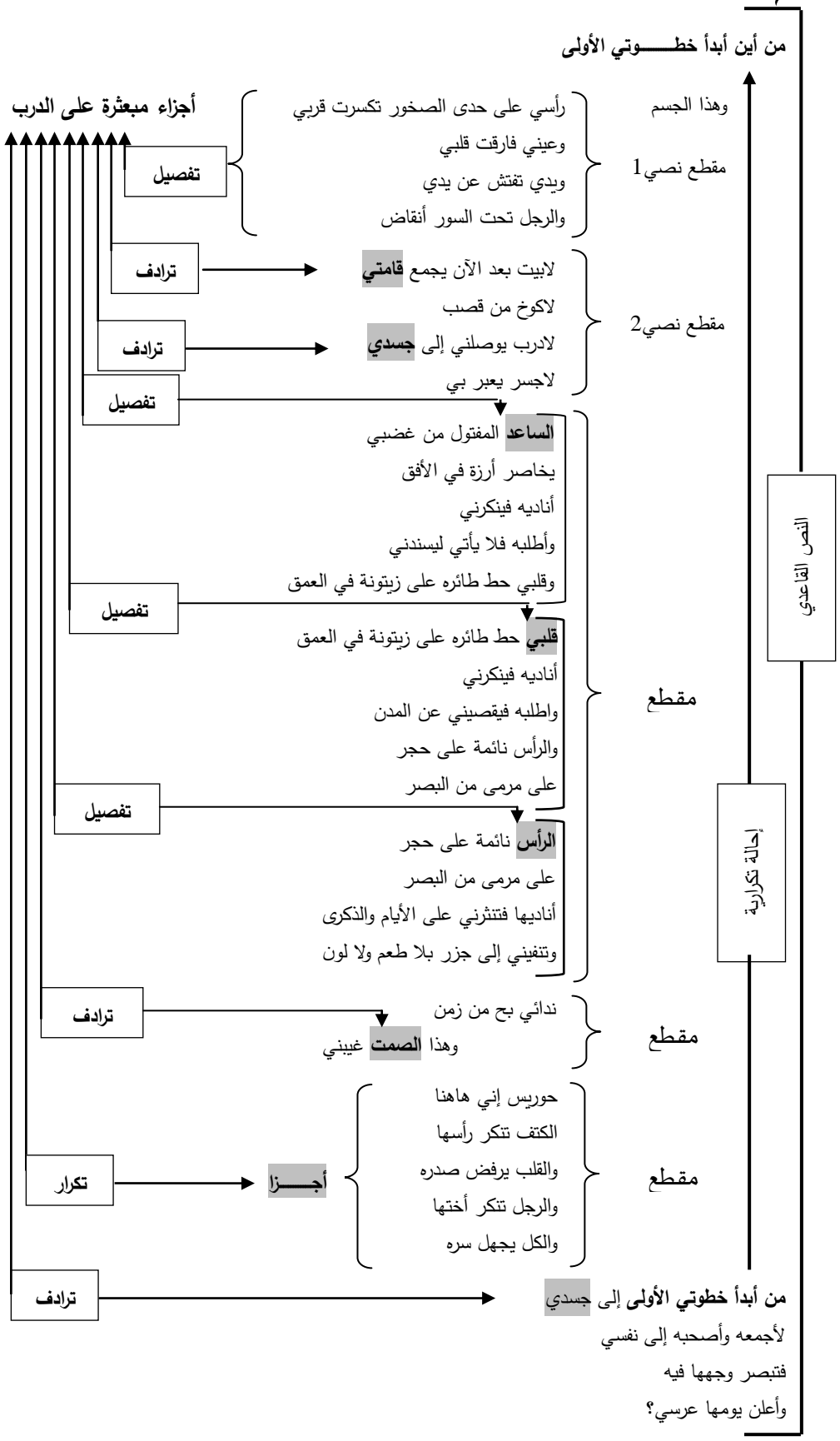
من أين أبدأ خطـــــوتي الأولى
أجزاء مبعثرة على الدرب
وهذا الجسم
مقطع نصي1
رأسي على حدى الصخور تكسرت قربي
وعيني فارقت قلبي
ويدي تفتش عن يدي
والرجل تحت السور أنقاض
تفصيل
مقطع نصي2
ترادف
لابيت بعد الآن يجمع قامتي
لاكوخ من قصب
ترادف
لادرب يوصلني إلى جسدي
لاجسر يعبر بي
تفصيل
الساعد المفتول من غضبي
يخاصر أرزة في الأفق
أناديه فينكرني
وأطلبه فلا يأتي ليسندني
وقلبي حط طائره على زيتونة في العمق
تفصيل
مقطع
قلبي حط طائره على زيتونة في العمق
أناديه فينكرني
واطلبه فيقصيني عن المدن
والرأس نائمة على حجر
على مرمى من البصر
تفصيل
الرأس نائمة على حجر
على مرمى من البصر
أناديها فتنثرني على الأيام والذكرى
وتنفيني إلى جزر بلا طعم ولا لون
ترادف
مقطع
ندائي بح من زمن
وهذا الصمت غيبني
مقطع
حوريس إني هاهنا
الكتف تنكر رأسها
والقلب يرفض صدره
والرجل تنكر أختها
والكل يجهل سره
تكرار
أجـــزا
ترادف
من أبدأ خطوتي الأولى إلى جسدي
لأجمعه وأصحبه إلى نفسي
فتبصر وجهها فيه
وأعلن يومها عرسي؟
النص القاعدي
إحالة تكرارية

خلاصة

من خلال تحليلنا لقصيدة الخطوة يتضح أنّ الإطار العام للبنية النسيجية في القصيدة إنّما قائم على جهة الإلتفاف التي ربطت آخرها بأولها، كما يظهر خلال المعالجة الدور الأساسي لعنصر الإحالة النصية في تحقيق هذا الإلتفاف وتجسيده كمدخل أمثل لتحليل الإنسجام في القصيدة.

أما على مستوى – علاقات الانسجام – فقد كشف النص عن انسجامه بواسطة علاقات الترادف والتكرار التي شملت بعضا من الوحدات المعجمية، المتوزع على المقاطع المكونة للنص، والذي أدى من موقعها دورا محوريا في التفاف المقطع حول هذه الوحدات. والملاحظ خلال هذه المعالجة، هو الطبيعة التوائمية لمقترح فان ديك في باب علاقات الانسجام وإجراء التحليل المعجمي المقترح من طرف هاليداي وحسن في تفكيك جانب التركب النصي وتفسير منحاه الدلالي.

الهوامش:

[1] فاتح علاق آيات من كتاب السهو منشورات إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر 2001. ص:

[2] ينظر: فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قينيني، دار إفريقيا شرق المغرب،2000

[3] Cohesion in English , Halliday& Hassan ,London , Longman .1976

[4] محمد مفتاح، دينامية النص، تنظير وانجاز، ط 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب1987ص:42

[5] دينامية النص، ص:53.

[6] تشمل الإحالة القبلية على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد ويسمى الإحالة التكرارية تكرار الصيغة وتكرار جزئي للصيغة

[7] يراجع: ج، ب، براون وج، يول، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطي ومنير تركي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، السعودية، 1997، ص:293